

الأمثال في القرآن الكريم

(244) ويجب على استدلال ابن الزبيرى. أوّلاً: إنّهم ما أرادوا بهذا التمثيل إلاّ
المجادلة والمغالبة لا لطلب الحق، وذلك لأنّ طبعهم على اللجاج والعناد، يقول سبحانه:
(ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون). وثانياً: إنّهم ما تمسكوا بهذا المثل إلاّ
جدلاً وهم يعلمون بطلان دليلهم، إذ ليس كلّ معبود حصّب جهنم، بل المعبود الذي دعا الناس
إلى عبادته كفرعون لا كال المسيح الذي كان عابداً رافضاً للشرك، فاستدلّاهم كان مبنياً
على الجدل وإنكار الحقيقة، وهذا هو المراد من قوله: (ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم
خصمون). ولذلك بدأ سبحانه يشرح موقف المسيح وعبادته وتقواه و إنّّه كان آية من آيات
الله سبحانه، وقال: (إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْزَعْنَا عِلَالِيَهُ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا
لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)، أي آية من آيات الله لبني إسرائيل، فولادته كانت معجزة، وكلامه في المهد
معجزة ثانية وإحياءه الموتى معجزة ثالثة، فلم يكن يدعو قطّ إلى عبادة نفسه. ثمّ إنّّه
سبحانه من أجل تحجيم شبهة حاجته إلى عبادة الناس، يقول: (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا
مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي السَّمَاءِ يَخْلِفُونَ) أي يطيعون الله ويعبدونه، فليس الاصرار على
عبادتكم وتوحيدكم إلاّ طلباً لسعادتكم لا لتلبية حاجة الله، وإلاّ ففي وسعه سبحانه أن
يخلقكم ملائكة خاضعين لأمره. ثمّ إنّّه سبحانه يشير إلى خصيصة من خصائص المسيح، وهي أنّ
نزوله من السماء في آخر الزمان آية اقتراب الساعة.